

مفهوم الضيق في القرآن الكريم (دراسة موضوعية)

د. عامر صباح أحمد الكبيسي
الجامعة العراقية / كلية الآداب

الملخص:

إن الله تعالى قد بعث نبيه محمد ﷺ على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الجهل ودنو من الساعة وقرب من الأجل، وخصه ﷺ بجوامع الكلم كما أكرمه بأكرم معجزة تخضع لها البشرية الغابرة والمعاصرة ألا وهو كلام الله الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (فصلت: ٤٢).

فكان ﷺ يتلو القرآن ويعلمه ويفهمه للصحابة الكرام ﷺ ومن حرصهم لا يقرؤون آية إلا بتفهم وتدبر الآية التي قبلها إلى أن صان الله هذا القرآن في صدور الرجال لفظاً ومعنى. ولما كان للقرآن الأهمية البالغة في مواضيعه ومفاهيمه أحببت أن أقف على ساحله محاولاً كشف بعض جوانب تلك المفاهيم اقتداءً بهؤلاء السلف الكريم.

ولما تمعنت في آيات القرآن الكريم وقفت على آيات الضيق تحت دراسة موضوعية علمية شاملة، وذلك لأن الضيق وما يحدث عنه من ويلات وأزمات للنفس وما تسببه من كوارث ونفاذ الصبر وما ينتج عنه من بلاء وعناء، يحتاج لمزيد اهتمام وبحث في آيات القرآن الكريم التي تتكلم عنه.

فحثنا القرآن الكريم على التأسي بالأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام في معالجة مثل تلك الأمراض التي تتعرض لها البشرية إزاء تلك الصراعات التي جلبت عليها النفوس سابقاً ولاحقاً.

الكلمات المفتاحية: الضيق عند الانبياء، الضيق في الزواج، الضيق الضلال والعذاب، الضيق والاعجاز العمي، علاج الضيق .

**The narrow concept in the Qur'an
(Objective scientific study)
Dr. Amer Sabah Ahmed al-Kubaisi
Iraqi University / Faculty of Arts**

Abstract:

That God has sent His Prophet Muhammad, peace be upon Smually period of the Apostles and the lack of science and misguidance of ignorance and come close to the time and proximity of the term, and summed Muhammad, peace be upon concise words also honored him with the most generous miracle subject to human ancient and contemporary that is, the word of God, which (la done wrong in the hands of his successor download from Hakim Hamid) (separated: 42).

Was recite the Koran and teach and understand the esteemed Companions that was keen not to read the verse, but with understanding and managing verse accepted that the Sun God, the Qur'an in the breasts of men of words and meanings.

Because of the Koran in the critical themes and concepts I wanted to stand on the shore, trying to uncover some aspects of these concepts following the example of these advances Quran.

As Tmant in the verses of the Quran and stood on the narrow verses under the comprehensive scientific objective study, because the distress and what happens with him from the scourge of crises for the same and what caused the disaster and impatience and the resulting scourge and bother, needs more attention and look at the verses of the Koran that speak of him .

Koran Vgesna the incorporation esteemed prophets peace be upon them in the treatment of diseases such as those experienced by human about those conflicts that brought them souls earlier and later.

Key words: Narrow when the prophets / marry / in delusion and suffering and scientific miracle / narrow treatment.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين .

أما بعد : فإن الله تعالى قد بعث نبيه محمد ﷺ على فترة من الرسل وقلة من العلم وضلالة من الجهل ودنو من الساعة وقرب من الأجل، وخصه ﷺ بجوامع الكلم كما أكرمه بأكرم معجزة تخضع لها البشرية الغابرة والمعاصرة ألا وهو كلام الله الذي ﴿ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ ﴾ (فصلت: ٤٢).

ولما تمعنت في آيات القرآن الكريم وقفت على آيات الضيق تحت دراسة موضوعية علمية شاملة، وذلك لأن الضيق وما يحدث عنه من ويلات وأزمات للنفس وما تسببه من كوارث ونفاذ الصبر وما ينتج عنه من بلاء وعناء، يحتاج لمزيد اهتمام وبحث في آيات القرآن الكريم التي تتكلم عنه.

فَحَثْنَا القرآن الكريم على التأسي بالأنبياء الكرام عليهم الصلاة والسلام في معالجة مثل تلك الأمراض التي تتعرض لها البشرية إزاء تلك الصراعات التي جُبِلَتْ عليها النفوس سابقاً ولاحقاً، فكان هذا من أهم الأسباب التي دعنتي إلى اختيار هذا الموضوع.

ولقد شأبت حكمة الله تعالى أن تكون طبيعة هذا البحث من الناحية التنظيمية مكوناً من مقدمة وستة مباحث وخاتمة .

أما المقدمة فقد ذكرت فيها سبب اختيار الموضوع وطريقة البحث فيه، وأما المبحث الأول فعنوانه: تمهيد في تحديد المصطلحات، واشتمل على مطلبين: المطلب الأول: ذكرت فيه تعريف الضيق لغةً واصطلاحاً، والمطلب الثاني: ذكرت فيه الألفاظ ذات الصلة. وأما المبحث الثاني فعنوانته: الضيق عند الأنبياء، وقد قسمته إلى مطلبين: المطلب الأول: ضيق صدر النبي محمد عليه الصلاة والسلام، والمطلب الثاني: ضيق صدر النبي موسى عليه الصلاة والسلام.

وأما المبحث الثالث: فكان عنوانه: الضيق في الزواج، وأما المبحث الرابع: فكان تحت عنوان: الضيق في الضلال والعذاب.

وأما المبحث الخامس: فعنوانه: الضيق في الإعجاز العلمي، وأما المبحث السادس: فكان عنوانه: علاج الضيق، وأما الخاتمة: فقد ذكرت فيها نتائج البحث. أما طريقتي للبحث فكانت كالاتي: فقد مهدتُ لكل آيةٍ بتمهيد موجز ثم شرعتُ في ذكر الآية وعرض أقوال وآراء المفسرين ذاكراً في نهاية المبحث أو المطلب الخلاصة التي جاءت بها تلك الآية من المعاني المغايرة للآيات الأخرى، وذلك وفقاً للضوابط التي ذكرتُ في التفسير الموضوعي.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد في هذا البحث المتواضع وسائر حياتي إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول/ تمهيد في تحديد المصطلحات:

المطلب الأول/ تعريف الضيق:

الضيق: لغة: الضيق نقيض السعة، يقال: ضاق الشيء ضيقاً وضيقاً وتضييقاً وتضايق وضيقه، والمضايق جمع المضيق، وقد يستعمل في الفقر، وفي البخل والغم ونحو ذلك، هذا من وجه، وأما الوجه الآخر فيراد به شيء ضيق فيكون ضيقاً مخففاً وأصله التشديد ومثله هيّن ولين^(١). والأصل ضاق ذرعه، أي طاقته وقوته، فأسند الفعل إلى الشخص، ومنه قولهم "ضاق المال عن الديون" مجازاً، وكأنه مأخوذ من هذا لأنه لا يتسع حتى يساويهما، وأضاق الرجل بالألف: ذهب ماله، والضيق: ما ضاق من الأماكن والأمر. كل هذه المعاني تصل بنا إلى أن الضيق نقيض السعة^(٢).

اصطلاحاً: الضيق هو نقيض السعة، وهو ما ضاق من الأماكن والأمر.

المطلب الثاني/ الألفاظ ذات الصلة:

أولاً: الشك: لغةً: نقيض اليقين، وجمعه شكوك، شكّ في الأمر يشكُّ شكاً، وشككه فيه غيره^(٣). اصطلاحاً: هو التردد بين النقيضين بلا ترجيح لأحدهما على الآخر عند الشاك، وقيل: الشك ما استوى طرفاه، وهو الوقوف بين الشئيين لا يميل القلب إلى أحدهما فإذا ترجح أحدهما، ولم يطرح الآخر فهو ظن، وهو بمنزلة اليقين^(٤).

ثانياً: الغم: لغةً: واحد الغموم والغم الكرب، وقد غمه الأمر يغمه غماً، ويقال: ما أغمك، أي وإنه لفي غمة من أمره^(٥).

اصطلاحاً: الغم: ستر الشيء، قال تعالى ﴿يَأْتِيهِمْ اللَّهُ فِي ظِلِّ مِنَ الْغَمَامِ﴾^(٦)، ومنه غمّ الهلال^(٧).
ثالثاً: الحزن: لغةً: نقيض الفرح وهو خلاف السرور، والجمع أحزان وقد حزن حزناً وتحازن وتحزّن وحزنه الأمر يحزنه حزناً وأحزنه^(٨).

اصطلاحاً: الحزن: عبارة عما يحصل لوقوع مكروه، أو فوات محبوب في الماضي^(٩).

رابعاً: الحرج: لغةً: قيل الإثم وقيل الضيق وأصل الحرج والحراج مجتمع الشئيين وتصور منه ضيق ما بينهما وحرج صدره يحرج حرجاً فهو حرجٌ وحرجٌ^(١٠)، وفي التنزيل ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً﴾^(١١).

والفرق بين الضيق والحرَج أن الحرَج ضيق لا منفذ فيه مأخوذ من الحرَجَة وهي الشجر الملتف حتى لا يمكن الدخول فيه ولا الخروج، ولهذا جاء بمعنى الشك في قوله تعالى ﴿ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت﴾ أي شكاً لأن الشاك في الأمر لا ينفذ فيه^(١٢).

وأما المعنى الاصطلاحي فإنه لا يخرج عن المعنى اللغوي حداً ولا تعريفاً .

المبحث الثاني/ الضيق عند الأنبياء:

المطلب الأول/ ضيق صدر النبي (ﷺ):

بعث الله نبينا محمد ﷺ كما بعث غيره من الرسل لتبليغ الناس دينهم وتخفيفهم من عذاب الله وكما بعث ﷺ للإندار والتبشير بعث ليكون قدوةً سالحةً في الخير والفضيلة فكانت وظيفته ﷺ هي القولُ الصالح والسيرةُ الطيبةُ المرضيةُ فدعوته هي الصبرُ والصلابة في الحق^(١٣)، ﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيى عن بينة﴾^(١٤).

وأن من يتصدى لهذا المنصب الجليل منصب الرسالة ودعوة الناس إلى الحق في حاجة كبرى إلى أن يُرى أحسنَ تربية ويُهذب بأفضلِ أنواع التهذيب، ولقد كان صبرُ النبي ﷺ على تعنتِ المشركين وإحراجهم له بالغاً أشده فمرةً يقولون له ائتي لنا بقرآنٍ غيرِ هذا القرآن أو بدله فيعندز لهم أن ليس في استطاعته أن يبدله من تلقاء نفسه لأنه متبع لا مبتدع، ويريهم أنه لولا مشيئةُ الله أن يكون رسولاً ما تلاه عليهم ويستشهد على ذلك بأنه مكث فيهم دهرًا طويلاً قبل النبوة لم يحدثهم فيه بشيء، وذلك برهانٌ أن ذلك الكتاب من عند الله لا من عنده.

ومرةً ينكرون أن يكون الرسول ﷺ من جنسِ البشر يأكلُ الطعام ويمشي في الأسواق فيريهم أن ذلك هو سنةُ الله تعالى في الرسلِ الماضين.

وأونةً يقولون له لن نؤمنَ لك حتى تفجرَ لنا ينبوعاً من الأرض، أو تكونَ لك جنةٌ من نخيلٍ وعنبرٍ، أو تُسقطُ السماءُ قطعاً على أعدائك، أو تأتي بالله والملائكة ليقابلوا الناس، أو يكونَ لك بيتٌ من زخرفٍ، أو تصعدُ إلى السماء، ثم بعدَ صعودك تنزلُ علينا كتاباً نقرؤه، ويكونُ مؤيداً لدعواك فيجيبهم الرسولُ بقوله تعالى ﴿قل سبحان ربي هل كنت إلا بشراً رسولاً﴾^(١٥)، وهذه الآيات لا يعلمها إلا آله، فليست من عملي^(١٦).

وبعدَ هذا العنت الذي لقيه من قومه واقتراح الآيات، كان ﷺ في حاجةٍ إلى تسليةِ الله له، وبيان أن ذلك سنةُ الله مع كل رسولٍ، ومتى عَرَفَ أن كل ذلك لم يكن خاصاً به وإنما هو عادة الناس مع كل رسول فإنه يصبر ويتسلى.

فلقد جاء معنى ضيق صدر النبي محمد ﷺ تسليةً له على ما لقيه من قومه قال الله تعالى ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾^(١٧).

قال الإمام الطبري: ولقد نعلم يا محمد أنك يضيق صدرك بما يقول هؤلاء المشركون من قومك في تكذيبهم إياك واستهزائهم بك وبما جئتهم به وأن ذلك يجررك^(١٨).

ولقد عبر الله سبحانه وتعالى بكلمة الصدر محل القلب فيضيق صدرك أي: قلبك^(١٩).

وما أوج المصلح إلى تدبر ذلك النوع من الكتاب الكريم ليتسلى برسول الله ﷺ، ويصبر على إيذاء القوم وبلائهم، لأن ما يصيب من جراء الدعوة إلى الله يصيب أتباعهم، فلهذا كان من حقهم أن يتبعوا طريقهم ويتسلوا بتسليتهم ويوقنوا أنها هذه سنة الله فيمن سبقهم^(٢٠).

ولقد جاءت آيات أخرى مماثلة لمعنى الضيق في مواضع شتى في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير والله على كل شيء وكيل﴾^(٢١).

أي: فلعلك يا محمد تارك بعض ما يوحى إليك ربك أن تبلغه من أمرك بتبليغه ذلك وضائق بما يوحى إليك صدرك فلا تبلغه إياهم مخافة ﴿أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك﴾ له مصدق بأنه لله رسول؛ يقول تعالى ذكره فبلغهم بما أوحيت إليك فأنت إنما أنت نذير تنذرهم عقابي وتحذرهم بأسى على كفرهم بي وإنما الآيات التي يسألونها عندي وفي سلطاني أنزلها إذا شئت وليس عليك إلا البلاغ والإنذار والله على كل شيء وكيل والله القيم بكل شيء وبيده تدبيره^(٢٢).

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رؤساء مكة قالوا: يا محمد أجعل لنا جبال مكة ذهباً أن كنت رسولاً، وقال آخرون: ائتنا بالملائكة يشهدون بنبوتك، فقال: لا أقدر على ذلك فنزلت الآية^(٢٣).

وفي الآية مسألة ذكرها الإمام الرازي قال: أجمع المسلمون على أنه لا يجوز على الرسول ﷺ أن يخون في الوحي والتنزيل، وأن يترك بعض ما يوحى إليه لأن تجويزه يؤدي إلى الشك في كل الشرائع والتكاليف، وذلك يقدح في النبوة، وأيضاً فالمقصود من الرسالة تبليغ تكاليف الله تعالى وأحكامه فإذا لم تحصل هذه الفائدة فقد خرجت الرسالة على أن تفيد فائدتها المطلوبة منها، ولقد كان المشركون لا يعتقدون بالقرآن ويتهاونون به، فكان يضيق صدر الرسول ﷺ أن يلقي إليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه ويذكره الله تعالى بأداء الرسالة وطرح المبالاة بكلماتهم الفاسدة وترك الالتفات إلى استهزائهم، والغرض منه التنبيه على أنه إن أدى ذلك الوحي وقع في سخريتهم وسفاهتهم وأن لم يؤد ذلك الوحي إليهم وقع في ترك وحي الله تعالى وفي إيقاع الخيانة فيه، فإذا لابد من تحمل أحد الضررين، وتحمل سفاهتهم أسهل من تحمل إيقاع الخيانة في وحي الله تعالى^(٢٤).

قال الإمام الالوسي: ونظر في فيه بأن ضيق صدره عليه الصلاة والسلام بذلك أن حمل على ظاهره ليس بواقع، وإنما يضيق صدره الشريف لما يعرض له في تبليغه من الشدائد، وعدل عن

ضيق الصفة المشبهة إلى ضائق - اسم الفاعل ليدل على أن الضيق مما يعرض له ﷺ أحياناً (٢٥).

ولهذا فقد نرى أن الله سبحانه وتعالى قد كرّر هذا المعنى تسليّةً له ﷺ من خلال سياق الآيات التي جاءت بهذا المعنى، قوله تعالى ﴿ولا تكن في ضيق مما يمكرون﴾ (٢٦)، قال ابن كثير: الضيق هنا الغم (٢٧).

فكما هو معلوم إن الضيق إذا عظم وقوي صار كالشيء المحيط بالإنسان من كل الجوانب وصار كالقميص المحيط به (٢٨).

لذلك نرى أن الضيق يأتي بعدة معاني، فتارة يأتي بمعنى الشك، وتارة يأتي بمعنى الحزن، وتارة يأتي بمعنى الغم، وكلها ألفاظ متقاربة في المعنى مخالفة في اللفظ كما أسلفنا في المبحث الأول في تعريف كل منها.

المطلب الثاني/ ضيق صدر النبي موسى عليه الصلاة والسلام

لقد كانت مهمة نبي الله موسى عليه السلام من أشق المهمات لأن بني إسرائيل مرنوا على الذل وألّفوا الاستعباد فكان نقلهم من هذا الحال من أشق الأعمال، وما لاقى سيدنا موسى عليه السلام من جبروت فرعون وطغيانه، وقد كان من علاجه لذلة بني إسرائيل أن يذكرهم بنعم الله عليهم وهو أسلوب حكيم في الوعظ يبدأه الداعي إلى الله بأحياء إحساس الشرف وشعور الكرامة في نفوس الموعوظين.

فقد بعث الله نبيه موسى عليه السلام لإنقاذ قومه بني إسرائيل من فرعون ورجال دعوته فليس من الحكمة أن توجه الدعوة إلى قوم لا يملكون من أمر أنفسهم شيئاً إنما الحكمة أن توجه الدعوة إلى من بيدهم الأمر، وإنما كان المقصود بالدعوة للشعب الإسرائيلي، والآيات هي الدلائل التي تدل على صدق سيدنا موسى فيما يبلغه عن الله سبحانه وتعالى، لكن هذا الشعب كذبوا بتلك الآيات التي أرسل بها هذا النبي الكريم وذلك بالكفر بها كُفراً وجحوداً فكان عليهم أثم ذلك وأثم قومهم الذين حرموا من الإيمان بأتباعهم لهم.

ولهذا نرى إن قصته عليه السلام كانت أشبه قصص الرسل بقصة خاتمه ﷺ من حيث إنه أوتي شريعة دينية ودينية، وكون الله به أمة عظيمة ذات ملك ومدنية.

فلهذا نرى أن سيدنا موسى قد أحسّ بهذا النّقل وما ينتج عنه نتائج صعبة وذلك من أسلوب ما كان يتحاور به بين الله سبحانه وتعالى من دعوة بني إسرائيل (٢٩).

وذلك كله من أجل إحقاق الحق وإبطال الباطل، وقد وفقه الله للخير وأعانته على تذليله له وأزال عنه طريق العقبات وألهمه التيسير.

قال تعالى ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * قَوْمَ فِرْعَوْنَ أَلَا يَتَّقُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ * وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَارُونَ *﴾ (٣٠).

لما أمر الله موسى بالذهاب إلى فرعون وقومه، وهو الذي إنما خرج من ديار مصر قراراً وخوفاً من سطوته طلب موسى عليه السلام من ربه أن يرسل معه أخاه هارون بان يجعله رسولاً فيتفضل عليه بالنبوة والرسالة إلى فرعون كما جاء في الآيات التي تحدثت بهذا الشأن وطلب الإشراف في الدعوة للقيام بأعباء النبوة والرسالة إلى فرعون هذا الملك المتجبر العنيد، ويبين لهم عني ما أكلهم به فانه يفهم ما لا يفهمونه (٣١).

وقد استجاب الله طلب موسى عليه السلام وقال: ﴿قَالَ سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعُلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (٣٢)، أي: سنقوي أمرك ونعز جانبك بأخيك الذي سألت له أن يكون نبياً معك ونجعل لكما سلطاناً أي: حجة باهرة فلا يصلون إليكما بآيتنا، أي: لا سبيل لهم إلى الوصول إليكما بسبب إبلاغكما آيات الله تعالى (٣٣).

أما الضيق الذي حصل لهذا النبي الكريم فقد كان له أمور داعية لذلك فلو لم يكن هارون مع موسى عليهما السلام لاختلقت المصلحة المطلوبة من بعثة موسى عليه السلام وذلك من وجهين:

الأول: إن فرعون ربما كذبه والتكذيب سبباً لضيق القلب وضيق القلب سبب لتعسير الكلام على من يكون في لسانه حبسة، لأنه عند ضيق القلب تنقبض الروح والحرارة الغريزية إلى باطن القلب، وإذا انقبض إلى الداخل وخلا منهما الخارج ازدادت الحبسة في اللسان، فالتأذي من التكذيب سبباً لضيق القلب وضيق القلب سبباً للحبسة فهذا السبب بدأ بخوف التكذيب ثم تلى بضيق الصدر ثم تلت بعدم انطلاق اللسان، أما هارون فهو أفصح لساناً مني وليس في حقه هذا المعنى فكان إرسالاً لائقاً.

الثاني: إن لهم عندي ذنباً فأخاف أن يغادروا إلى قتلي وحينئذ لا يحصل المقصود من البعثة، وأما هارون فليس كذلك فيحصل المقصود من البعثة (٣٤).

فكان لضيق الصدر الأثر البالغ في تعثير مهمة الرسالة لأنه حاصل منه تلجج اللسان له عليه السلام يسبب ذلك كما يشاهد في كثير من الفصحاء إذا اشتد غمهم وضاق صدرهم فان ألسنتهم تتلجج حتى لا تكاد تبين عن مقصوده هذا إن قلنا أن هذا الكلام كان بعد دعائه عليه السلام لحل العقدة واستجابة الله تعالى له في إزالتها بالكلية فصار يفقه قوله مع بقاء يسير للكنة.

وأياً ما كان فالمراد من ضيق الصدر ضيق القلب، وعبر عنه بما ذكره مبالغاً، ويراد منه الغم، ثم هذا الكلام منه عليه السلام ليس تشبهاً بأذيال العلل واستعفاء عن امتثال أمره عز وجل وتلقيه بالسمع والطاعة، بل هو تمهيد عذر في استدعاء عون له على الامتثال وإقامة الدعوة على أتم وجه.

ولو رجعنا إلى سياق هذه الآيات في القرآن الكريم لوجدنا أنها جاءت كلها تسليةً للنبي محمد ﷺ وما حدث له مع قومه، وكما أسلفنا بان دعوة نبي الله موسى عليه السلام أشبه بدعوة سينا محمد ﷺ.

وخلاصة ما ذكر في الضيق في هذا الموضوع بان كان له الأثر البالغ في استمرار الدعوة وتأييدها على الوجه الصحيح الذي يقوم به الداعية والإخلاص في ذلك.

المبحث الثالث/ الضيق في الزواج:

إن من الحقائق القرآنية الكبرى أن القرآن قد قرر للمرأة أهلية تامة وحقاً كاملاً غير مقيد بأي قيد عدا ما حرّمه الله ورسوله في جميع التصرفات المدنية والاقتصادية والشخصية إذ جعل لها الحق والأهلية لحيازة المال مهما عظم مقداره والإرث والهبة والوصية والدين وتملك العقار والعبيد والتعاقد والتكسب.

وشرط موافقتها على الزواج وعدم حق وليها بتزويجها بمن لا تريد أو بدون إذنها وموافقتها وإناطة عودتها إلى زوجها الذي طلقها بموافقتها ورضائها وقناعتها، وفداؤها نفسها منه وعدم وليها في منعها من العودة إلى زوجها الذي طلقها^(٣٥).

فكانت شريعة القرآن الكريم في مسألة الطلاق شريعة دين ودنيا وكل ما اشتملت عليه من حرمة الدين تابع لما شرع له الزواج من المصلحة النوعية والمصلحة الاجتماعية تغليباً للمصلحة العبادية عليه على مشيئة الأزواج ففي هذه الشريعة القرآنية تتوافر جميع الرخص المفيدة التي لجأت إليها أم لتسير العلاقة بين الزوجين مع المحافظة على الآداب الاجتماعية.

لذلك نرى أنه متى تم الفراق بين الزوجين فالشريعة قد تكفلت للزوجة المطلقة بكل ما يلزم الرجل من حقوقها ومصالحها ومن حقوق أبناءها وأبناءه لذلك تأبى الشريعة العادلة أن تعتمد على حنان الأب وحده لأنها مسؤولة عن حق إلام حياله فلذلك قال ﴿وللمطلقات متاع بالمعروف حقاً على المتقين﴾^(٣٦).

فعلى الزوج يجب أن يوفي الزوجة المطلقة حقها كاملاً لا يستحل منه شيئاً لنفسه ولا يحق له أن يخرج المرأة من بيتها قبل وفاء عدتها منه^(٣٧).

قال تعالى ﴿أسكنوهنّ من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهنّ لتضيقوا عليهنّ وأن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهنّ حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وأتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى﴾^(٣٨).

فكان من إنصاف القرآن أن جعل للمرأة حقوقاً حتى بعد طلاقها فلذلك نرى إن هذه الآية قد وضعت هذه الحقوق مفصلة حتى لا يضيع حقاً للمرأة فابتدأ بالسكنى فجعل السكنى من أهم الأسباب التي أشار إليها في حق المرأة المطلقة ولكن لا نفقة لها ولا سكنى لأنه زواج بائن . أما إذا كانت المرأة حاملاً فلها النفقة والكسوة والمسكن حتى تنتضي عدتها فقال ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾ فالله سبحانه وتعالى لما ذكر السكنى أطلقها لكل مطلقة ولما ذكر النفقة أيدها بالحمل.

فعلى من وجدكم أي من سعتكم والوجد قد يأتي بمعنى الغنى والقدرة ثم أشار القرآن الكريم إلى الضرر الذي يحصل بترك النفقة والسكنى التي هي من أهم الحاجات التي تحتاج إليها المطلقة بعد طلاقها فلقد كان لمعنى الضيق الأثر البالغ في إنصاف المرأة في حقوقها^(٣٩).

فكانت الشريعة منصفة في الأمور التي تحسب لها فشرعت الحالة المثلى لذلك نرى أنه لا يفوتها أن تشرع لحالة القسر والاضطرار فلا تمنع شيئاً يوجبه شئ في المجتمع حتى يتهيأ من الكمال فنجد أن هذه الآية قد فصلت لنا معنى الإنسانية التي أرشدنا إليها شرعنا الحنيف.

فبعد أن أشار سبحانه وتعالى إلى الحقوق التي جاءت متسلسلة من السكنى والنفقة تحول إلى مسألة أخرى وهي ما يكون مشتركاً بين الزوجة وزوجها وهي حقوق الأبناء فلم يدع مجالاً في ذلك إلا وبين حكمه فنجد أن الصلة لم تزل بينهما حتى في مسألة الإرضاع ﴿فإن أرضعن لكم﴾ (٤٠) ، أي: بعد وضع الحمل وهي تغذية المولود بباكورة اللبن الذي لا قوام للمولود إلا به. فلذلك نرى أنه قد استحقت أجر مثلها ولها أن تعاقب أباه أو وليه على ما يتفان عليه من أجرة ﴿فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن﴾^(٤١).

ثم تحول القرآن الكريم بعد هذا التسلسل والتنسيق الإلهي الذي يوصف لنا رحمة الله بين عباده أشار بعد ذلك إلى الائتمار بالمعروف ﴿واتمروا بينكم بمعروف﴾^(٤٢) ، أي: ولتكن أموركم فيما بينكم بالمعروف من غير اضرار ولا مضارة.

فحرية المرأة لم تنته إلى آخر مرحلة فالإشارة إلى الاختلاف الذي يحصل إلى أجرة الإرضاع قد فتح طريقاً آخر للمرأة في حالة تعسر الإرضاع بالإرشاد إلى اتخاذ مرضعة أخرى تحلّ النزاع ما بين الزوجين أولاً وآخر^(٤٣).

إذا فمعنى الضيق في هذه الآية تجده قد جاء أمام تعدد اليسر في الأحوال الشخصية بين الزوجين مما يشير إلى نفي الضيق الذي يؤدي إلى التنافر والتباعد مما يخلق مجتمعا بعيداً عن شريعة الإنسانية والمرؤة التي يرشدنا إليها الله سبحانه وتعالى.

المبحث الرابع/ الضيق في الضلال والعذاب:

اقتضت حكمة الله تعالى أن يكون طريق الدعوة إلى الله والإصلاح محفوف بالمخاطر ومحط بالأشواك وتلك الشدائد التي يراها الداعي لا غنى له عنها وإنما هي سنة الرسل من قبله، فكانت مهمة الداعي أو المصلح من أهم المهمات التي كلفه الله بها وحتى ينجو من الشدائد والمخاطر، أمره الله سبحانه وتعالى أن يحول بين النفوس وشهواتها والقلوب وأهواءها، فيحاول أن يرسم لهم طريقاً يباعد بينها وبين ما الفت من شهوات، ويقارب بينها وبين ما تركت من الفضائل، ويحاول أن ينشئهم نشأة صالحة يآلف بين غرائزهم المختلفة ويوفق بين أهوائهم المتفاوتة، وكثيراً ما تستحکم الشهوات ويتمكن الفساد من الأمة كالأمم السابقة التي أرسل الله إليها رسلاً مبشرين ومنذرين ليلبغوهم دعوة الله التي أرسلهم الله بها^(٤٤).

فجعل الله هذه الحياة الدنيا إلى قسمين قسم يعمل عملاً صالحاً فيجزيه الله بمثله وقسم يعمل عملاً غير صالح فيجزيه الله بمثله أيضاً.

إذا العذاب يكون من جنس العمل ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها﴾^(٤٥) ، ولقد كان لمعنى الضيق الأثر البالغ في محل الضلال والعذاب إذ جعله الله سبحانه وتعالى عذاباً لبعض الأصناف الذين خالفوا ما أمر الله به رسوله سواء في الحياة الدنيا أو في الآخرة.

فلذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى قد ساق عذاب الضيق في بعض الآيات التي تكلمت عن الأمم السابقة وتكذيب رسلهم وكبر أعمالهم التي كانوا يعملونها ويخالفون شريعة الله التي أوحى بها إلى رسله كما أسلفنا.

لقد قصَّ الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ عن حال المشركين وتعنتهم وبيان حالهم لتكذيبهم رسله حتى وصل بهم الحال إلى تكذيبه ﷺ بأمر الساعة، وأن الساعة هي من المغيبات التي أخبر الله بها ﷺ ﴿يسألك الناس عن الساعة قل إنما علمها عند الله وما يدريك لعل الساعة تكون قريباً﴾^(٤٦).

لذلك نرى أن الله سبحانه وتعالى قد أشار إلى أمر الساعة في مواضع شتى من القرآن الكريم، وبيّن بأن أمرها هو عند الله، وإنما هي من المغيبات التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى، ولما وصل الحال بالمشركين إلى إنكار المغيبات جعل الله لهم العذاب بالغاً أشده فلم يكن بإدخالهم جهنم فحسب، وإنما جعل لهم المكان الأضيق فيها، قال الله تعالى ﴿بل كذبوا بالساعة واعتدنا لمن كذب بالساعة سعيراً إذا القوا منها مكاناً ضيقاً مقرنين دعوا هنالك ثبورا﴾^(٤٧).

لقد جاء في تفسير الضيق أمور عدة، فعن عبد الله بن عمر قال: إن جهنم لتضيق على الكافر كضيق الزج^(٤٨) على الرمح^(٤٩).

وسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال: ((والذي نفسي بيده إنهم يستكروهن في النار كما يستكروه التود في الحائط))^(٥٠).

قال الكلبي: الاسفلون يرفعهم للهب، والاعلون يخفضهم الداخون فيزدحمون في تلك الأبواب الضيقة^(٥١).

قال الزمخشري: الكرب مع الضيق، كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض، ولقد جمع الله على أهل النار أنواع التضيق والإرهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصاً.

كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسيره: انه يضيق عليهم كما يضيق الزجّ في الروح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع، وقيل: يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي أرجلهم الأصفاد والثبور والهلاك ودعاؤه أن يقال واثبوره أي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك^(٥٢).

ويقولون ذلك حينما يشاهدون هذا النوع من العقاب الشديد، ويخبرون بأن هذا الثبور سيزداد كل يوم ليزداد حزنهم وغمهم نعوذ بالله منهم، قال الكلبي: نزل هذا كله في أبي جهل والكفار الذين ذكروا تلك الشبهات، وبعد أن الله سبحانه وتعالى ذكر عقاب المشركين وما سيؤول بهم الحال يوم القيامة لأنهم كذبوا بالساعة اتبعه بما يؤكد الحسرة والندامة لهم فخاطب رسوله ﷺ لهم ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاءً ومصيراً^(٥٣)﴾. مما يزيد الضيق في صدورهم لكثرة الخير والنعيم الذي يرونه أصحاب الجنة وما أكرمهم الله به، ولكثرة الغم والحزن لمكذبي الساعة فكانت مقارنةً بين أصحاب الجنة وأصحاب النار^(٥٤).

إذاً من خلال ما تقدم في هذا البحث نرى أن الضيق قد جاء بمعنى آخر غير الذي تقدمت في المباحث المتقدمة كضيق حال المشركين في جهنم، وأن هذا الضيق قد أورثهم الندامة والحسرة في الحياة الدنيا والآخرة لأننا كما أسلفنا قد جاء عذاباً لهم من جنس العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا وتكذيبهم الرسل وتكذيب الرسل لهم على رؤوس الأشهاد في يوم البعث والنشور.

المبحث الخامس/ الضيق والإعجاز العلمي:

لما كان القرآن الكريم منزلاً للناس كافة في كل زمان ومكان من أهل العربية وغيرهم ويصعب على غير العرب إدراك معجزته الكبرى في بلاغته وأسلوبه، كان لهم من معجزاته بأن ألزمهم الحجة بصدق دعواه، وتحديه لهم عن أن يأتوا ولو بمثل أقصر سورة منه، فكان ذلك ولا يزال حجةً قاطعةً وأنه كتاب لم يفتر وأنه منزلٌ من لدن حكيمٍ عليم، فظل إعجازه قائماً في بلاغة أسلوبه وسمو معانيه وجوامع كلمه التي ما كان يعلمها سوى علماء أهل الكتاب.

وجاء معجزاً بما تضمن من تشريعات كريمة ومثل عليا تنفق مع طبائع البشر في كل زمان ومكان تكمياً لفطرتهم وضماناً لسعادتهم، وجاء معجزاً بما حوى من آيات العلم والمعرفة الصحيحة

عن الجانب المادي عن الكون، مما لم يكن للناس قبل نزوله أو بعده حتى جاء العلم الحديث بوسائل بحثه الدقيق المستندة إلى الخبرة والمشاهدة منذ أكثر من قرنين من الزمان فكشف عن كثير منها وأماط اللثام عن حقائقها ولم تتعارض حقائقه معهما في شيء ما فهو حجة قاطعة ودليل قائم على مرّ الزمان على صحة دعواه وما يدعوا إليه^(٥٥).

قال تعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾^(٥٦).

جاءت هذه الآية في الثلث الأخير من سورة الأنعام، وهي مكية، شأنها شأن كل السور المكية التي تركز على قضية العقيدة، وهي قضية وجود الإنسان على هذه الحياة، وقضية مصيره بعدها، فعلى أساس هذه العقيدة يحدد كل إنسان منّا دوره في هذه الحياة كما يحدد علاقاته فيها مع نفسه ومع خالقه، ومع الكون ومع جميع من فيه وما فيه.

ومن هنا كانت أهمية العقيدة التي أفرد لها القرآن الكريم مساحة كبيرة في كل من المكان والزمان في كل السور والآيات المكية، وفي عمر الدعوة المحمدية التي قضى فيها المصطفى ﷺ ثلاث عشرة سنة.

يدعو الناس إلى عبادة الله تعالى وحده بغير شريك ولا شبيه ولا منازع، وإلى إخلاص العبودية له، وتنزيهه تعالى عن كل وصف لا يليق بجلال ربوبيته وألوهيته ووحدانيته وإلى الإيمان بملأئكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره، وباليوم الآخر وبما فيه من بعث ونشور، وحساب وميزان وصراط وخلود في حياة قادمة أما في الجنة أبداً أو في النار أبداً، كل ذلك من الخضوع بالطاعة لله وعبادته تعالى بما أمر مع حسن القيام بواجبات الاستخلاف في الأرض وإقامة عدل الله فيها، وهذه هي رسالة الدين من لدن أبينا آدم عليه السلام إلى بعثة المصطفى ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها^(٥٧).

ومن هنا كان القرار الإلهي الذي أنزله ربنا تبارك وتعالى من فوق سبع سماوات في الدخول في الإسلام من قبل أربعة عشر قرناً بقوله عز من قائل ﴿إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعدما جاءهم العلم بغياً بينهم، ومن يكفر بآيات الله فأن الله سريع الحساب﴾^(٥٨).

ومن هنا أيضاً كان التأكيد على هذا القرار الإلهي بقول الحق تبارك وتعالى في نفس السورة ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾^(٥٩).

ومن هذا المنطلق جاءت الآية الكريمة التي نحن بصددتها والتي يقول فيها ربنا سبحانه وتعالى ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد إلى السماء ... الخ﴾^(٦٠).

ويعجب الإنسان لهذا التشبيه القرآني المعجز الذي يقابل بين صدر العازفين بين الهداية الربانية، كلما ذكروا بها، وضيق الصدر الذي يصعد في السماء بغير وسيلة واقية وهي حقيقة لم يدركها الإنسان في أبعادها الصحيحة إلا بعد زيارته للفضاء^(٦١).

وهو ما اكتشفه الطيارون على ارتفاعات عالية من ضيق يجدونه في صدورهم يزداد شدة كلما صعدوا في السماء حتى يصل إلى درجة الاختناق . وذلك بسبب تناقص الهواء (الأوكسجين) عن الكمية اللازمة كلما ازداد الإنسان ارتفاعاً في السماء، وهذه الحقيقة لم تكن معروفة من قبل، إذ إن الناس جميعاً كانوا يعتقدون أن الهواء يمتد بصفاته هذه إلى الكواكب والنجوم، والقرآن يذكر هذه الحقيقة قبل أن يعرفها الإنسان جميعاً بما يقارب من أربعة عشر قرناً من الزمان^(٦٢).

قال تعالى ﴿ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً كأنما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾^(٦٣).

أي من استحق أن يضله الله بأعماله السيئة، ومحاربتة للدين، جعل الله صدره ضيقاً بالموعظة أو ما يذكره بالإسلام كضيق ذلك الذي يصعد في السماء، والبشر كلهم يجهلون هذه الحقيقة: حقيقة حدوث الضيق الشديد لمن يصعد في السماء، ولم تعرف هذه الحقيقة إلا بعد أن صعد الإنسان بالطائرات إلى السماء، فهل كان لمحمد ﷺ طائرة خاصة به من دون الناس، عرف بها هذه الحقيقة أم أنه الوحي الذي نزل بعلم الله؟^(٦٤).

ولقد جاء معنى الضيق في هذه الآية مقترناً بمعنى الحرج فأصل الحرج والحراج مجتمع الأشياء من مثل الشجر ونحوه، ومن هنا تصور منه ضيق ما بينها فقيل للضيق حرج وللاثم حرج واستخدام فعل بمعنى التضيق^(٦٥).

قال الإمام الطبري في تفسيره لهذه الآية ﴿فمن يرد الله أن يهديه﴾ للإيمان به وبرسوله، وما جاء به من عند ربه فيوفقه له ﴿يشرح صدره للإسلام﴾ يقول: فسح صدره لذلك وهونه عليه وسهله له بلطفه ومعونته حتى يستنير الإسلام في قلبه، فيضئ له، ويتسع له صدره بالقبول.

كالذي جاء الأثر به عن رسول الله ﷺ عن أبي جعفر، قال لما نزلت هذه الآية ﴿فمن الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام﴾ قالوا: كيف يشرح الصدر؟ قال: إذا نزل النور في القلب أنشرح له الصدر وانفسح، قالوا: فهل لذلك آية يعرف بها؟ قال: نعم الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل الفوت^(٦٦).

وقوله ﴿من يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً﴾ أي ومن أراد الله إضلاله عن سبيل الهدى لشغله بكفره، وصدده عن سبيله، يجعل صدره بخذلانه وغلبه الفر عليه حرجاً والحرج أشد الضيق، وهو الذي لا ينفذ من شدة ضيقه، وهو هاهنا الصدر الذي لا تصل إليه الموعظة، ولا يدخله نور

الإيمان ليرين الشرك عليه، وأصله من الحرج والحرج جمع حرجة: وهي الشجرة الملتف بها الأشجار، لا يدخل بينها وبينها شيء لشدة التفافها بها.

واختلف أهل التأويل في تفسير قوله «ضيقاً حرجاً» فقال بعضهم لما حرجا: فشاكا وقال آخرون: معناه: ملتبساً وقال آخرون: معناه: وأنه من شدة الضيق لا يصل إليه الإيمان ومن ذكر ذلك قال أي لا يجد مسلكاً إلا صعداً، وقال آخرون: ليس للخير فيه منفذ، وقال آخرون: بلا أله إلا الله لا يجد لها في صدره مساعاً، وقال آخرون: بلا أله إلا الله حتى لا يستطيع أن تدخله^(٦٧).

وفي هذه الآية أبين البيان لمن وفق لفهمها، عن أن السبب الذي به توصل إلى الإيمان والطاعة غير السبب الذي به توصل إلى الكفر والمعصية، وإن كلا السببين من عند الله وذلك إن الله جل ثناؤه أخبر عن نفسه إنه يشرح صدر من أراد هدايته للإسلام، ويجعل صدر من أراد إضلاله ضيقاً عن الإسلام حرجاً، كأنما يصعد في السماء ومعلوم أن شرح الصدر للإيمان، خلاف تضيقه له، وأنه لو كان توصل بتضيق الصدر عن الإيمان إليه لم بين يكن تضيقه عنه وبين شرحه له فرق، ولكان من ضيق صدره له فقد ضيق عنه، إذ كان موصولاً بكل واحد منهما أعني التضيق والشرح إلى ما يوصل به إلى الآخر ولو ذلك كذلك، وجب أن يكون الله قد كان شرح صدر أبي جهل للإيمان به، وضيق صدر رسول الله ﷺ، وهذا القول من أعظم الكفر بالله، وفي فساد ذلك أن يكون كذلك الدليل الواضح على أن السبب الذي به آمن المؤمنون بالله ورسوله وأطاعه المطيعون، غير السبب الذي كفر به الكافرون بالله وعصاه العاصون. وفي قوله «كأنما يصعد إلى السماء» هذا مثل من الله تعالى ذكره ضربة لقلب هذا الكافر في شدة تضيقه إياه عن وصوله إليه، مثل امتناعه عن الصعود إلى السماء وعجزه عنه، لأن ذلك ليس في وسعه^(٦٨).

وفي هذه الآية تشبيه من وجهان: الأول: كما أن الإنسان إذا كلف الصعود إلى السماء ثقل ذلك التكليف عليه وعظم رفعه، وقويت نفرتة منه، فكذلك الكافر يتقل عليه الإيمان وتعظم نفرتة منه. الثاني: إن قلبه يتباعد عن الإسلام ويتباعد عن قبول الإيمان، فشبه ذلك البعد ببعد من يصعد من الأرض إلى السماء^(٦٩).

واخيراً فإن معنى الضيق قد جاء هنا في هذه الآية مغايراً عن باقي المعاني المتقدمة فقد جاء معنى الضيق هنا تحقيقاً للإعجاز العلمي الذي أشرنا إليه في بداية هذا المبحث والذي جاء على لسان سيدنا محمد ﷺ من قبل أربعة عشر قرناً مما يثبت بأن القرآن الكريم لا تنقضي عجائبه في كل زمان ومكان.

المبحث السادس/ علاج الضيق:

إن ضيق الصدر وما يحدثه من ويلات وأزمات النفسية كل أولئك من الأمراض الخطيرة، التي كثيرا ما تؤدي بأصحابها إلى سوء المصير، وتجعل حياتهم جحيماً لا يطاق، ولما كان لكل داء دواء، ولكل علة طريق يفضي إلى الشفاء، والإنسان إن لم يعالج مرض جسمه هلك، والنفس كالجسم إن مرضت تحتاج إلى علاج، وعلاجها بدواء يناسبها، وتركها بدون علاج يذبل زهرتها ويطفئ نورها.

لما كان الأمر كذلك وجب علينا أن نبحث ملتبسين طريق الخلاص من مرض ضيق الصدر وما يسببه للنفس من كآبة وحزن إذا تعرفنا على علة الداء أصبح من اليسير القضاء عليه قبل أن يستقل، ولقد قضى الحكيم العليم، أن تكون الحياة ميداناً صاخباً بالهموم والأحزان حافلاً بالرزايا والنوائب والإنسان بين ذلك في جهد وتعب ومشقة ونصب، خلقه الخالق العظيم وأراد به ذلك، وفي هذا يقول جل جلاله ﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾^(٧٠).

فالاستسلام لضيق الصدر والأزمات النفسية داء خطير يوهن النفس ويضعف القلب، ويقنط من زوال الخطب فيشتد الكرب ويدوم الكمد ويستمر النكد، فيجيء الغد كالأمس في غمه وبلائه، ويلزم النفس التشاؤم والتظير وينقطع الرجاء. ولنا في الأنبياء عليهم السلام أسوة وقدوة _ فهذا سيدنا موسى عليه السلام، لم يستسلم لضيق صدره حيث لا ينطلق لسانه كما يريد، فطلب من ربه الذي أرسله، إن يعينه بأخيه هارون لأنه أفصح منه لسناً فلا تختل دعوته ولا تضعف حجته، وفي ذلك قال: ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي اشدد به أزري أشركه في أمري﴾^(٧١). ومن شرح الله صدره بالإسلام، سهل عليه علاج نفسه من هذا المرض الخطير وسعد بالشفاعة.

ولقد أرشد الله سبحانه وتعالى نبيه ﷺ إلى علاج ما يحصل له من الضيق، قال الإمام الرازي: اعلم أنه تعالى لما ذكر أن قومه يسفهبون عليه ولا سيما أولئك المقتسمون وأولئك المستهزئون قال له ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون﴾ لأن الجبلة البشرية والمزاج الإنساني يقتضي ذلك فعند هذا قال له ﴿فسبح بحمد ربك﴾ فأمره بأربعة أشياء بالتسبيح والتحميد والسجود والعبادة واختلف الناس في أنه كيف صار الإقبال على هذه الطاعات سبباً لزوال ضيق القلب والحزن؟.

فقال العارفون المحققون: إذا اشتغل الإنسان بهذه الأنواع من العبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية، ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكيفية حقيرة، وإذا صارت حقيرة خفّ على القلب فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها، وعند ذلك يزول الحزن والغم. وقالت المعتزلة: من أعتقد تنزيه الله تعالى عن القيام سهّل عليه تحمل المشاق فإنه عدل منزّه عن إنزال المشاق به من غير غرض ولا فائدة فحينئذ يطيب قلبه. قال أهل السنة: إذا نزل بالعبء بعض

المكاره فزع إلى الطاعات كأنه يقول تجب عليّ عبادتك سواء أعطيتني الخيرات أو ألقيتني في المكروهات^(٧٢).

ولقد كان لدلالة التسبيح و الأذكار الأثر المهم لزوال الضيق عن صدر النبي ﷺ كما جاء في ضوء الآيات الكريمة كقوله تعالى ﴿فسبح بحمد ربك﴾ أي ففزع إلى ربك فيما نابك من ضيق الصدر بالتسبيح ملتبساً بحمده أي قل: سبحان الله والحمد لله أو فنزهه عما يقولون حاملاً له سبحانه على أن هداك للحق. وفي التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره ﷺ ما لا يخفى من اللطف به عليه الصلاة والسلام والإشعار بعلّة الحكم أعني الأمر المذكور. وفي أمره ﷺ بما ذكر إرشاد له إلى ما يكشف به الغم الذي يجده كأنه قيل: افعل ذلك ليكشف عنك ربك الغم والضيق الذي تجده في صدرك ولمزيد الاعتناء بأمر الصلاة جيء بالأمر بها كما ترى مغايراً للأمر السابق على هذا الوجه المخصوص^(٧٣).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد صلى الله وعلى اله وصحبه وسلم.

فبعد هذه الرحلة العطرة والسيرة المباركة التي قضيتها مع هذا البحث والتي توصلت فيه إلى النتائج التالية:

- ١- إن الضيق يأتي بمعنى نقيض السعة، وقد يأتي بمعنى الشك والغم والحزن.
- ٢- إن الضيق يصيب الأنبياء لثقل تحمل الرسالة وأمانة التي كلفوا بها فكانوا مضرب الأمثال للناس حتى يتأسوا بهم في كل زمان ومكان.
- ٣- إن الضيق يكون عذاباً للمجرمين تعجيباً لهم في الحياة الدنيا وتأخيراً في عذاب الآخرة.
- ٤- إن معنى الضيق قد تحقق في إعجاز القرآن الكريم الذي أخبر الله سبحانه تعالى عنه قبل أربعة عشر قرناً في زمن النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى يومنا هذا.
- ٥- إن الله سبحانه وتعالى قد أرشد نبيه محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى علاج الضيق، وذلك يكون بالتسبيح وذكر الله تعالى مما عجز عنه فلاسفة الطب اليوم في علاج وإرشاد الناس في حل الأزمات النفسية والروحية.

هذا وأسأل الله سبحانه وتعالى إن يلهمنا السداد والصواب إنه نعم المولى ونعم النصير.

الهوامش:

- (١) ينظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ابن منصور الأنصاري ت ٧١١هـ، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ، ٥٦٢/٢ - لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ابن منصور الأنصاري ت ٧١١هـ، دار صادر - بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ. ٢٠٨/١٠ - تاج العروس من جواهر القاموس / للسيد محمد بن مرتضى الحسيني الزبيدي ت ١٢٠٥هـ، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية. ٤٥/٢٦ - المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الاصفهاني ت ٥٠٣هـ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم الدار الشامية - دمشق بيروت، ط ١، ١٤١٢هـ، ص ٥١٣.
- (٢) ينظر: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأبي العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي ت ٧٧٠هـ، المكتبة العلمية - بيروت، ١٣/٢ - ١٤.
- (٣) لسان العرب لابن منصور ٣٤٧/٢ .
- (٤) كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني ت ٨١٦هـ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، ط ١، ١٩٨٣م، ص ١٢٨.
- (٥) لسان العرب للعلامة ابن منصور ١٠١٩/٢ .
- (٦) سورة البقرة الآية ٢١٠ .
- (٧) المفردات في غريب القرآن للراغب الاصفهاني ص ٦٦٣ .
- (٨) لسان العرب للعلامة ابن منصور ٦٢٧/١ .
- (٩) كتاب التعريفات للجرجاني ص ٨٦ .
- (١٠) لسان العرب المحيط للعلامة ابن منصور ٥١٩/١ .
- (١١) سورة النساء الآية ٦٥ .
- (١٢) الفروق اللغوية للإمام اللغوي أبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري ت ٣٩٥هـ، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة - مصر. ص ٢٥١ .
- (١٣) ينظر: دعوة الرسل الى الله لمحمد أحمد العدوي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص ٣٩٨.
- (١٤) سورة الإسراء الآية ٩٣ .
- (١٥) سورة الإسراء الآية ٩٣ .
- (١٦) ينظر: دعوة الرسل لمحمد أحمد العدوي ص ٤٠٥ .
- (١٧) سورة الحجر الآية ٩٧ .

- (١٨) جامع البيان في تأويل القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبري ت ٣١١هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط ١، ١٤٢٠هـ، ٧٣/١٤.
- (١٩) ينظر: الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي ت ٦٧١هـ، تحقيق: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض - المملكة العربية السعودية، ١٤٢٣هـ. ٦٣/١٠.
- (٢٠) ينظر دعوة الرسل ص ٤١١
- (٢١) سورة هود الآية ١٢ .
- (٢٢) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٩،٨/١٤ .
- (٢٣) ينظر: بحر العلوم لأبي الليث نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي ت ٣٧٣هـ، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر - بيروت.
- (٢٤) ينظر: التفسير الكبير للإمام أبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن فخر الدين الرازي ت ٦٠٦هـ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ٣، ١٤٢٠هـ. ١٩٣/١٧.
- (٢٥) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لأبي المعالي محمود شكري بن عبد الله الألوسي ت ١٣٢٤هـ، دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان. ١٩/١٢ .
- (٢٦) سورة النحل الآية ١٧٢ .
- (٢٧) ينظر: تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ت ٧٧٤هـ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة، ط ٣، ٥٩٢/٢ .
- (٢٨) ينظر: التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ١٤٣/٢٠ .
- (٢٩) ينظر: دعوة الرسل ص ١٨٩ .
- (٣٠) سورة الشعراء الآية ١٠-١١-١٢-١٣ .
- (٣١) ينظر: تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ٣٨٩/٣ .
- (٣٢) سورة القصص الآية ٣٥ .
- (٣٣) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ت ٥٣٨هـ، دار الكتاب العربي بيروت - لبنان، ط ٣، ١٤٠٧هـ. ١٠٩/٣، ٤١٠ - تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ٣٨٩/٣.
- (٣٤) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ١٢٢/٢٤ .

- (٣٥) ينظر: المرأة في القرآن والسنة لمحمد عزة دروزة، منشورات المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، ط ١، ص ٣٩
- (٣٦) سورة البقرة الآية ٢٤١ .
- (٣٧) ينظر: المرأة في القرآن والسنة لعباس محمود العقاد، ص ١٤٢ وما بعدها .
- (٣٨) سورة الطلاق الآية ٦ .
- (٣٩) ينظر الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٨/١٦٦ وما بعدها - روح المعاني للإمام لالوسي - الفتح القدير لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٠هـ، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق - بيروت، ط ١، ١٤١٤هـ . ٢٩٢/٥
- (٤٠) سورة الطلاق الآية ٦ .
- (٤١) سورة الطلاق الآية ٦ .
- (٤٢) سورة الطلاق الآية ٦ .
- (٤٣) ينظر: تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ٨/١٥٢ - تفسير الخازن لعلي بن محمد المعروف بالخازن - تنوير الأذهان للصابوني، مطبعة دار القلم. ٢/٣٤٣-٣٤٤ .
- (٤٤) ينظر: دعوة الرسل ص ٢ .
- (٤٥) سورة فصلت الآية ٤٦ .
- (٤٦) سورة الأحزاب الآية ٦٣ .
- (٤٧) سورة الفرقان الآية ١٢-١٣ .
- (٤٨) الزج: بالضم الحديدية التي في أسفل الرمح. ينظر: المصباح المنير ١/٢٥١ .
- (٤٩) الأثر أخرجه: ابن المبارك في كتابه الزهد، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية - بيروت، ٨٦/٢ - وينظر: بحر العلوم للسمرقندي ٢/٥٣١ .
- (٥٠) هذه الرواية أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره رقم ١٥٠٠٥، ٨/٢٦٦٨ - وينظر: الكشف والبيان عن تفسير القرآن لأبي إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي ت ٤٢٧هـ، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٧/١٢٦ .
- (٥١) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ٥/٢٤ .

(٥٢) تفسير الكشاف للزمخشري ٢٦٧/٣ - وينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية لأبي محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد القيسي المالكي ت ٤٣٧هـ، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية في جامعة الشارقة، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - جامعة الشارقة، ط ١، ١٤٢٩هـ، ٥١٨٥/٨ .

(٥٣) سورة الفرقان الآية ١٥ .

(٥٤) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي ٢٤/٥ - روح المعاني للالوسي ١٨ / ٢٤٤، ٢٤٣ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٧/١٣ .

(٥٥) ينظر: التفسير العلمي للآيات الكونية في القرآن، لـ حنفي أحمد، ط ٣، دار المعارف، ص ٥٦ .

(٥٦) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

(٥٧) ينظر موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لـ د. زغلول النجار ص ٣٢ .

(٥٨) سورة آل عمران الآية ١٩ .

(٥٩) سورة آل عمران الآية ٨٥ .

(٦٠) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

(٦١) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لـ د. زغلول النجار ص ٣٥ .

(٦٢) ينظر: القرآن وإعجازه العلمي لمحمد إسماعيل إبراهيم، دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة، ص ٨٩ - المعجزة القرآنية حقائق علمية قاطعة لأحمد عمر أبو شوفة، دار الكتب الوطنية - ليبيا، ٢٠٠٣م. ص ٣٩ .

(٦٣) سورة الأنعام الآية ١٢٥ .

(٦٤) كتاب التوحيد لعبد المجيد عزيز الزندانى، دار الأنبار للطباعة والنشر، ط ٢، ص ٧٤، ٧٥ .

(٦٥) موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة لـ د. زغلول النجار ص ٣٨ - خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني ت ١٤٢٩هـ، مكتبة وهبة، ط ١، ١٤١٣هـ، ٢٣٠، ٢٢٩/٢ .

(٦٦) الحديث رواه الطبري في تفسيره ٢٠/٨ .

(٦٧) ينظر: جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٢٧، ٢٦/٨ - روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ٢٤/٨ - تفسير القرآن العظيم لأبن كثير ١٧٥، ١٧٤/٢ - الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٠ / ٦٣ - تفسير الماتريدي "تأويلات أهل السنة" لأبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي ت ٣٣٣هـ، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية - بيروت، ط ١، ١٤٢٦هـ، ٢٥٦/٤ .

(٦٨) جامع البيان في تأويل القرآن للطبري ٢٨/٨ وما بعدها .

(٦٩) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان، لإسماعيل حقي البروسوي، تحقيق: الصابوني، ١/٥٠٦ - وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن ت ٥٥٤٢هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية- بيروت، ط ١، ١٤٢٢هـ، ٢/٣٤٣.

(٧٠) سورة البلد الآية رقم ٤.

(٧١) سورة طه الآية ٢٥ - ٣٢.

(٧٢) التفسير الكبير للإمام الرازي ١٩/٢١٥، ٢١٦ - وينظر: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبن عطية ٢/٣٤٣ - البحر المحيط في التفسير لأبي حيان الأندلسي ٤/٦٣٩.

(٧٣) ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للإمام الالوسي ٤/٨٧ - التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٨/٥٧.